

والفرق بين هذه الأمثلة ، والمذكورة قبلها من هذا القسم ، هو أن حركة المقطع السابق تمد في هذه ، ولا تمد في تلك ، فإننا نجد : « أرى وأسل » وأمثالها ، بالفتحة المقصورة ، و « آرس وآبار » وأمثالهما ، بالفتحة الممدودة . والعلة في هذا الفرق ، أنه في النوع الأول ، الذى لامد فيه ، حذفت الهمزة [ منه ] في وقت أقدم بكثير من وقت حذف الهمزة في النوع الثانى ؛ فإننا نرى كلمة : « أنا » يقابلها في الآرامية : enā التى حذفت فيها الهمزة أيضا بغير مد للحركة قبلها . وحذف الهمزة في مثل : « آرس وآبار » ، مع مد الحركة قبلها ، خاص باللغة العربية ، لا يرتقى إلى زمان أقدم ، من زمان افتراق العرب عن الأقاليم السامية الشمالية .

وهذا الباب من تخفيف الهمز ، كله باب من أبواب التخالف المذكور آنفا ، ضد التشابه ؛ وذلك أن سبب الحذف والإبدال فيه ، توالى حرفين متماثلين ، لكن يختلف هذا التخالف عن الأنواع الأخرى ، بأن نتيجته تسهيل النطق أكثر مما لو حذف ، أو أبدل أى حرف آخر ؛ إذ إن الهمزة أصعب لإخراجها من غيرها من الحروف ، فينبغى لإخراجها تغليق فم الحنجرة ، وهو مفتوح في غيرها ، فينقطع الزفير المتواصل الخروج أثناء الكلام .

والنوعان المذكوران من تخفيف الهمز ، شائعان في اللغة العربية قديما وحديثا ، وعليهما و [ على ] نظيرهما فقط ، تقتصر اللغة العربية الفصحى السائدة ، وقراءة القرآن السائدة في الشرق ، وهى قراءة حفص عن عاصم . وأما سائر قراءات القرآن الكريم ، فمنها ما يخفف فيه الهمز تخفيفا أكثر من ذلك بكثير ، والنحويون أيضا يذكرون أن الهمزة كانت تخفف تخفيفا زائدا ، في بعض لهجات العرب القديمة المختلفة ، فكان تدرج تخفيف الهمز من أهم علاماتها ، وكانت لهجة الحجاز تخفيف الهمز أكثر من اللهجات الأخرى .

ويؤيد قول النحويين ، رسم القرآن الكريم ، التابع للهجة الحجاز ، فكثيرا ما يبدل فيه الهمز بالواو والياء أو يحذف . وإذا أردنا أن نفهم ما يدل عليه